عاد السندباد من جديد

قصص للاطفال

منير بهرى

٢٠٢٥

وهم الإعاقة.

الأطفال يتناهبون الكرةوأنظارهم مصوبة نحوالسلة،والحماس يتقد في نفوسهم ورغبة إيداع الكرة في السلة تطل من شرفة حدقات أعينهم،تجمدت أوصال التلميذة نجوى،وسكنت مشاعرها، وانطفأ فيها كل بصيص نور ، وهي مقعدة جسديا على كرسي متحرك ، ترسم لنفسها رجلين في مخيالها ،وهي ترى نفسها تنافس الأطفال في الملعب، كما تنافسهم وتتفوق عليهم في التفاعل داخل الفصل،وتحصل على الدرجات العليا، طأطأت نجوى رأسها منكسرة، والدموع مترقرقة في محجريها ، تشرئب الأعناق وترنو إلى السلة ، وتشرئب معها نفس نجوى وتتوثب نحو الهدف ، وسرعان ما استعادت رباطة جأشها ، ولملمت جراحها ، بعدما هتف بها هاتف داخلي يقول لها :إن كنت مشلولة القدمين ،فإن عقلك متحرر ، تفكرين وتحلمين وتعبرين بطلاقة ، لديك عائلة تحتضنك، وتشيعك بحدب، فلا ينبغي أن تكسري شوكة أملها في أن تراك متفوقة دوما ، هنا اختفت سحائب اليأس ،وتلاشت كضباب تلتهمه أشعة الشمس، و انفجرت مشاعر نجوى واشتعلت أطرافها

،فصرخت بأعلى صوتها ، ناولوني الكرة سألعب معكم فتحدت هواتف اليأس ومواكب الخيبة تذرع بكرسيها الميدان مندسة بين الأطفال ،وقد اندهشوا لمهاراتها في المراوغة والكرسي مرن يخضع لدوراتها وكان وسيلة في مساعدتها على الالتواء والتمويه ، فأبانت عن علو كعبها في اللعبة وتفتقت مواهبها ، فسجلت أهدافا وكل هدف كان يكسر عقدة من الأغلال الجسدية التي كانت تغلغل ألياف قدميها، بعدها فكرت في تأسيس فريق لذوي الاحتياجات الخاصة في مدينتها ، فأصبحت عميدة لفريقها ، كانت الكرة مطواعة في يديها تفتلها فتلا كما كان التفوق يذعن لها. وأطلقت على فريقها اسم ،* نجوم السماء* للتطلع إلى ذروة المجد وكان شعارهن كلما تأهبن لخوض نزال :

* الإعاقة وهمية والإرادة كونية *

Bouhera

الفراشات المضيئة.

انشغلت كاميليا بمطاردة الفراشات المضيئة بأضواء مثيرة ، تبعث على الهدوء والاسترخاء، وتراود الناظر إليها وتخدره ،فينسى عالمه الواقعي الحزين، خرجت مع والديها في نزهة للغابة والفصل ربيع ، اختاروا شجرة السنديان الفيحاء الوارفة الظلال ، وأمرا كاميليا أن تلعب قريبا من المخيم، لكن كاميليا أسرت بجمال هذه الفراشات ، ورقصاتها في السماء ،والأضواء تخلب بجمالها العقل، تابعت كاميليا الفراشات التي تحولت إلى ثريا كبيرة تنير الكون ، بها خلايا كخلايا النحل بأسرة جميلة وثيرة، ومخمليات مذهلة ونمارق مصفوفة، وأرجوحة كبيرة جميلة، في هذه الأثناء ابتعدت كاميليا عن مكان المخيم ، وقد اقتفت أثر الفراشات إلى أن ضلت الطريق بعدما خدرتها أضواء الفراشات ، فراودها حلم جميل، نصبتها ملكة الفراشات أميرة للغابة الخضراء تحرسها من الأشرار، ولتبعث الخير في

٥

النفوس ،وتحمي الأطفال الذين ضلوا الطريق وتلقح الأزهار، وتحمي الثمار تساعدها أشجار السنديان الحبلى بثمار البلوط كأنها عسكر ، فتحولت كاميليا إلى فراشة جميلة كأنها البدر غب كماله وجناحاها الشفافتان كصفحة الماء النضر، حكمت كاميليا الغابة بعدل بين الحيوانات ، بعدها استفاقت من حلمها ووجدت أن الشمس قد أوشكت على الغروب والليل ينصب خيامه ، والوالدان قد استبد بهما الفزع يذرعان الغابة ويصرخان باسم كاميليا ، شرعت كاميليا في البكاء والصراخ إلى أن ظهرت لها ملكة الفراشات بصحبة رفيقاتها وازدان الفضاء بهم جلاء ووضوحا فقادوا كاميليا إلى والديها .وأضاؤوا للأسرة المكان حتى خرجوا من اشتباكات الظلام . هنا نتعلم يا أطفالي أن ذوي النفوس الطيبة والرقيقة يحميهم الله ويبعث لهم من يحميهم، ثم نستفيد ألانبتعد عن والدينا ونمتثل لأوامرهما فكونوا يا أصدقائي كالفراشات المضيئة تضيؤون السبيل للتائهين والمحزونين.

Bouhera

أنفاس أمي.

افتر فم باسم وبرقت عيناه، وحلقت روحه فرحا وهو يشق عنان السماء بمنطاده الصغير الذي امتلأ بأنفاس حبه لأمه، وسماه أنفاس أمي، صنعه من بالونات حمراء أثناء احتفال أقيم في ملجأ للأطفال المتخلى عنهم وهو نزيل كباقي الأطفال الذين اختلفت أسنانهم وسحناتهم وألوانهم كاختلاف أشجار الأرض غير أنها تسقى بماء واحد ، ماء اليتم .باسم هو الاسم الذي سمي به في الميتم ولم يكن لوالداه رأي فيه، لأنهما تركاه رضيعا بعدما صرعا في غارة جوية، يبلغ الآن سبع سنوات، فبدأ يسأل عن أمه فتخبره المربية أنها في السماء.

- ولم تركتني ؟

-لم تتركك لقد ذهبت في رحلة طويلة، وهي الآن تراك.

- سأذهب عندها إلى السماء .

أغرورقت عينا المربية بدموع حارة ، احتقنت لها وجنتاها.

- سوف ترين سأذهب عندها ، سأصنع مركبة فضائية .

لقد اقتبس فكرة من فيلم كارتوني فراح يصنع منطادا من البالونات التي كان يجمعها، ينفخها وتتحول إلى لون أحمر يسري فيها نبض حبه لأمه ، كل بالون يحمل ذرات كثيرة من الشوق والحنين ، ترى البالون تحسبه قلبا يسح بالحب والحياة ، جمع البالونات ونسج في مابينها بخيط ناظم ، وهيأ لنفسه مقعدا خشبيا ، ذات صباح كانت فيه الريح تعوي وتهب ، فأخرج مركبته إلى فناء الميتم ، وسرعان ما علقت مع الرياح وهفا قلب باسم إلى أمه كما يهفو الحمل إلى حلمة أمه ، كأن هذه الريح مرسلة من السماء لتعرج به إلى مكان أمه ، المنطاد الصغير يشق السماء وويبتعد عن الأرض المدنسة برائحة الموت ، السماء طاهرة ، الهواء نقي ، انتشى بالأجواء تهدهده الريح في دوح لا مثيل له، وهو يتخيل أمه من يناغيه ويحركه ، هكذا استمرت رحلة باسم يلتقي بأسراب الطيور المهاجرة تحفزه ، أطلق ساقيه للريح إلى أن لاحت أشعة الشمس تدفئ جسده الغض وتغمز له وافتكرها أمه ،ظهرت على وجهها إشراقة جميلة وهي تفرد له ابتسامتها الذهبية وتشيعه بعينين يسح منهما وميض، وتبسط يديها ..في هذه اللحظة استفاق باسم على صوت مربيته العطوف تناديه للتأهب للدراسة . في حصة للرسم الحر ، رسم باسم

حلمه بتفاصيله على الورق، فأعجب الجميع برسمته وحكايته الجميلة،فنال جائزة احتفالا بعيد الأم.

Bouhera

ازرع ولا تقطع.

-*وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا * صدق الله العظيم .

وصل الأب عند هذه الآية العظيمة فوجل قلبه وأشرقت أساريره فقال مخاطبا أبناءه :

إن الله تعالى سخر النخلة لسيدتنا مريم لتتئك عليها، فتساقط عليها التمر .وأجدادنا زرعوا فأكلنا ، كما نزرع نحن فتأكلون.

أعجب الولدان شادي وفاتن بكلمات الوالد الرقراقة فعلقت فاتن :

-بدورنا يا أبي سنقتفي أثركم وسنزرع فيأكل خلفنا .

تحمس الولدان وسرت في أوصالهما حرارة العمل واتقد حماسهما :

-شادي : هيا يا أبي ناولني المجرفة ، وأنت يا أختي فاتن ثبتي الشتلة جيدا حتى نغمر الحفرة بالتراب ، فرددت فاتن بنبرة إيقاعية وبصوت رخيم ملحنة :

-زرعوا فأكلنا ..يا عيني ...فنزرع ويأكلون يا ليلي ..

راقب الأب ولديه منتشيا وقد اطمأن على تربية ولديه على حب البيئة والغرس وأردف قائلا :

- قبل أن تفكر في قطع شجرة ، اغرس عشرة .

دأب الولدان على تعهد الشتلات بالماء وتنقيتها من الطفيليات حتى صارت الحديقة غناء وارفة الظلال، وقد حجت إليها العصافير المغردة وأسراب الفراشات الملونة تلثم البراعم فتتورد .

-شادي شادي تعال لترى عش الطيور كم هو جميل .

سأبني لنفسي عريشا هنا وأدعو صديقاتي نستظل ونراجع دروسنا .رددت فاتن .

- أما أنا فسأصنع لنفسي أرجوحة خيالية ..علق شادي .

باغتهم الأب أتريدون أن تفوزوا بالحصص كلها هههه :

لدي فكرة جميلة سآخد قيلولتي فوق محمل أربطه بين الشجرتين وسأتأمل جمال الخضرة .

لمح شادي فأسا حادة لمعت بسبب انعكاس أشعة الشمس فتبدت لشادي أن شفرتها تكشر عن أنيابها لالتهام الأشجار فصرخ بأعلى صوته :

ماذا تفعل هذه الفأس الشريرة إنها فأل سيء ، سأخفيها .

قهقه الأب بصوت عال :

_تريد حصتها من الغنيمة والخشب هو لمجتها .

انفجر الجميع بالضحك ..فاجأتهم الأم بصينية من الشاي المنعنع يزف في موكب من الكعك والمسمن الشهي ، فجعلت حصيرا مسجى على الأرض ، وقالت لهم : هذا هو مكان غذائكم من الآن فصاعدا سوف نتخلص من فتات الخبز ستمر جيوش النمل ..

قضت الأسرة الصغيرة أجمل اللحظات في البستان الجميل ، فأصبح محرابا لهم للتأمل في ملكوت الله ، وإثارة ذبذبات الفن والإبداع .

Bouhera

أنجوا بأنفسكم .

احتضن الأب ابنته الصغيرة وضمها ضمة اختلجت لها أضلاعه ، كانت أطرافها باردة ورأسها يرنو للسماء تنتظر لحظة الانضمام إلى طيور الجنة، هي وحيدته بعد اغتيال زوجته ، كان يرى فيها زوجته وأخته وروح الانتماء إلى الوطن هي وطنه، كان يهدهدها في مهدها يراقب أنفاسها وهي نائمة ويغزل آمالها ..ويشيعها بنظرات ملؤها العطف واليوم يشيعها بنظرات الأسى ولحيته البيضاء تعفرت بالدموع الهطالة، وزفراته كشفرات حادة تمزق أحشاءه ..ليخاطبها بصوت متهدج :

_ أزفك إلى الجنة يا أميرتي ..كنت أتمنى أن أرعاك حتى أزفك إلى بيت زوجك ، وأتردد إلى بيتك بين الفينة والأخرى أطفئ لهيب وحدتي ..وها أنذا أزفك للسماء التي تزينت لك وأنارت عرصاتها ، يا سعديك يا سيدنا إبراهيم وأنت تبسط يديك للأطفال يحلقون كالطيور وأنت تلاعبهم وتسري عنهم .

يالفرحتك يا سارة وأنت تعقدين ضفيرات الطفلات ..

ويا سعادتنا عندما يكون أطفالنا هم بوابو الجنان يفتحون لنا الأبواب ..

_أرقدي بسلام ياابنتي ..طيري في رحاب السماء الآمنة . لا قنابل ولا عبوات ناسفة ولا كدر ..

جثا الأب على ركبتيه وجثة ابنته مبللة بدموعه وقد دفن رأسه في صدرها يشم رائحة الجنة ..

طيري مع رفاقك ..أهربوا انجوا بأنفسكم لن يستطيع الأعداء التربص بكم ..السماء صدر حنون وسحبها أغطية لكم ونجومها أعشاش لكم ..لا صيادون ولا سارقون يسرقون أحلامكم ..طيروا وافردوا أجنحتكم واملأوا المدى .

لقد أرسلت

اختر صورة ووصف

Bouhera

عروس الطير

تترنح أغصان الشجرة الوارفة الظلال وهي حبلى بثمار الليمون الناصع،الوقت فجر لم تنسج الشمس خيوطها بعد، الليمونة منداة بالطل يحرسها طائر صداح يروي لها وهي في محرابها أحلى وأبهى الحكايات:

_ عزيزتي يحكى أنه كان في قديم الزمان ، كانت الليمونة تتربع على عرش مملكة الفواكه في جزيرة ليس فيها إنس ولا جان، والليمونة تأمر ولديها مفاتيح الكنوز ، وبابتساماتها تتدفق الشلالات، الليمونة تتثاءب ويدب إليها النعاس رويدا رويدا، الطير صدوح يواصل حديثه العذب، قصر الليمونة كله ورود أشكال وأنواع، سقوف مزركشة بألوان المساء وضوء الشمس الملتهب ،الليمونة أميرة يخدمها نسيم الصباح العليل الذي هو بمثابة السيف الذي يهزم ضوء الشمس الحار، حتى لاتفقد الليمونة ألقها وجودتها،بينما كانت الليمونة ذات صباح تتناول فطورها غاب عنها نسيم الصباح فباغتها شعاع شمس حارق، توقف الطائر عن الحكي بعدما أسلمت الليمونة روحها للنوم. تعزف الطبيعة في

القرية موسيقى هادئة، يتوقف اللحن تتسلل يد آثمة متأهبة جائعة لاقتلاع الليمونة، تفزع الليمونة وتصارع من أجل البقاء في موطنها:

-دعني وشأني أيها السارق الجائع لقد روعتني.

يباغتها البائع المتجول وهو طفل صغير بائس يتسربل بأسماء بالية : - أنا لست سارقا بل أنا صديقك البائع الذي يقدر ثمنك وقد وقع اختياري عليك فلا زلت غضة طرية وأنت تطمرين هذا الجمال الأخاذ هنا، سآخذك إلىالمدينة الواسعة، هناك يشمك المارة ويقدرون قيمتك ويتهافتون لشرائك ويضعونك في الثلاجة وتنتعشين في أحلامك السعيدة. عروس الطير تهيم في أحلامها،عيناها شاخصتان تتابع باهتمام حديث البائع وتقتنع بكلام البائع وتردف قائلة:

- إن كان حقا ماقلته فهلم بنا ماذا تنتظر؟ إبتسم الطفل ابتسامة ماكرة وانتشل الليمونة ورماها في حمله الثقيل، سلة البائع حبلى بالليمون الطري، يحملهاعلى ظهره، ويهم بالانصراف. والطير المسكين ند عن زفرة اختلجت لها أضلاعه واصطكت جناحاه وصاح بالتياع : - يا صديقتي الليمونة لا تغتري بكلامه الساحر المعسول فما يفكر هذا البائع إلا في نفسه، وأنت هنا تتربعين على عرشك، قطرات الندى تغسل وجهك البض، رائحتك الزكية ينقلها النسيم بين الرياض مغتبطا

كالطفل عندما يتسلم علاماته يحث الخطى لإسعاد والديه، تتقد الحياة بهذه الرائحة .-رويدك فلا أطيق الحياة وأنت بعيدة عني فأنت أكسير حياتنا ، لا تذهبي إنتظري ،لا تذهبي إنتظري، يرجع الصدى ويخترق هدوء الليل ويخجل الغسق وتتورد وجنتاه إكبارا لوفاء الطير. إنطلق البائع وأسارير وجهه منبسطة يترنم بهذا الصيد الثمين يطوي المسافات ميمما المدينة، محدثا نفسه - أليس الصبح بقريب؟ .الليمونة مستغرقة في نومها وجلادها يرقص طربا، وكلما شعر بالتعب يقف بجانب الطريق فتمرق السيارات الهادرة يلاحقها الطفل طمعا في ببيع الليمون، دون جدوى وعدسة الليل تشهد على مايجري ، والليل هو ذلك الرجل الحارس الأصم الأبكم لكنه يتابع ويسجل الأحداث ويتلمظ مرارة الموقف،يتابع الطفل سيره وبدأ الصباح يتأهب لتسلم نوبته بعدما سلمه الليل مفاتيح النهار ،وبدأت الشمس تنفخ حرها وأوداجها منتفخة معلنة بداية يوم جديد، والبائع يجري ليلحق بالسيارات يهزمه التعب والإنهاك تستفيق الليمونة وتشعر بقليل من الجفاف والجفاء، وتكز البائع قائلة: - هل وصلنا هيا أسرع لبيعي كما وعدتني، بدأ التبرم والتذمر يغشى البائع ،- يالك من ليمونة ثرثارة و مغرورة،شارع المدينة كالمطحن الكبير الذي يعالج الحب والقمح لكن شتان بين مطحنة القمح

ومطحن الأعصاب والآمال، الناس في حالة طوارئ،الشوارع مختنقات ،والكل يحصي ساعات الإنتظار ، يرمون الطفل بنظرات ريبة واحتقار وهو ينادي بصوت محزون : - كيلو بدرهمين .بالكيلو الواحد درهمان.ضاع الليمون ،ضاعت أحلام الطفل، وانتصر جلاد المدينة ، ومات عروس الطير كمدا ووجدا كان يمني نفسه أن ترجع الليمونة بعدما بنى لها مسكنا في برج عاج.

Bouhera

عيدك سعيد.

خرجت اللغة العربية من قصرها المرصع باللآلئ وجواهر الكلمات لتحيي الجماهير من محبيها من الكتاب والأدباء والشعراء والهائمين والسامرين في يوم الاحتفال بعيدها ..تربعت على عرش عربة يجرها حصان عربي أصيل يذرع بها الشوارع في موكب الشموع والانوار وهي تضع تاجا منمقا بشعر الفخر ويحوم حولها موكب من بناتها وأولادها من الكلمات والحروف تعتمر الحركات ،وحروف العطف تنثر السجع يمينا ويسارا..بدت اللغة العربية في أبهى صورها ترتدي فستانا من المحسنات البديعية وعلى يمينها خادمتها البلاغة بينما حارسها القاموس يعتلي صهوة حصان أدهم ويشهر سيف عنترة بن شداد ..الشعراء والمحبون يحملون رسائلهم وقصصهم المثيرة وأشعارهم ..فتوقفت لتجوب في معرض الأشعار ليقدم لها إكليل من شعر الغزل ..فوشحت الشعراء وباركت أعمالهم بعدها استرعى انتباهها معرض لأدب الطفل فيه أجمل القصص باللغة العربية فنزلت به تستمع إلى الأطفال يقرأون القصص بأصوات جميلة

ومترنمة فطارت فرحا ، وضمت إليها الأطفال ووزعت عليهم الحلوى اللذيذة التي يعشقونها وحذرتهم من الوسائل التكنولوجية والإدمان عليها ووعدت كل من يقرأ القصص باللغة العربية أنها ستأخده للعيش في قصرها ..

قضت اللغة العربية يومها سعيدة تزهو بمكانتها وتاريخها المجيد الحافل بالعطاء ودرر الكلام ..وأقيمت لها مأدبة عشاء تحت شرفها بعد حفل بهيج أقيمت فيه عروض مسرحية وتليت أشعار جميلة ، ورقصت الخواطر رشيقة وغنى السجع أطرب الألحان فخضعت له الرقاب لصوته الرخيم ، بعدها بدأ استعراض الأمجاد على الركح من قصائد في العصر الجاهلي إلى قصص الحب والفروسية ..

كان حفلا بهيجا بمثابة الطغراء من الصحيفة.

Bouhera

أحلام من رمال

لأول مرة تشاهد يامنة البحر وتعانقه بعينيها اللتين تسحان أملا، قد ألفت في قريتها إملشيل في أعالي الجبال حياة مقفرة، تطوقها جبال شاهقة، تعسكر كالمارد تنفخ بأفواهها زمهريرا ، وتظهر كالشياه العجفاء صيفا، الأطفال هنا بريئون من اللعب براءة الذئب من دم يوسف، لايرتعون في نوادي ،وإنما يرتعون في مسارح يرعون الجديان ، والبرد القارص يلفح وجوههم، حتى أصبحت وجناتهم تنز بالدم احمرارا وهي متورمة .

-كيف سيكون البحر ،نامت يامنة ليلتها ، تحلم بركوب سفينة تمخر في أمواج البحر، تتقلب في مضجعها وهي مسجاة على حصير من الدوم ، كأنها تتقلب في الرمال الذهبية، وتعالج الرمال كما تعالج المرأة حبات الكسكس بين يديها ، نبتت حافلة للركاب صغيرة، تقل زمرة من الفتيات اليتيمات، قد نظمت لهن إحدى الجمعيات الخيرية رحلة إلىإحدى المدن الساحلية المغربية،رحلة

إلى بحر بشاطئ الهرهورة بمدينة الرباط. ستتخلص يامنة أخيرا من حمل جبال الحطب والأحراش الإبرية على ظهرها اللينة كالسحابة البيضاء ، ولأول مرة ستلعب بلعب شاطئية .هاهي يامنة قد ولدت من جديد ، انطلقت طفولتها، تحررت غريزة اللعب ونزوات الطفولة من غياهب تاريخ عائلتها، لأول مرة تشرق الحرية في نفسها كالمقرور، لأول مرة تجتاحه الشمس ، ستحمل إلى قريتها بضائع من نوع آخر ، بدل حمل أعواد الحطب والأحراش الإبرية كذخيرة للشتاء والزمهرير،بضائع الحرية وحق اللعب والابتسامة تذرع محياها الجاف، لتمحو آثار الشقاء وتجاعيد مبكرة قد زحفت على جسدها البض كما تزحف ألسنة اللهب على المحصول، صارت يامنة تدرك معية أقرانها أن هناك حياة أخرى لا ضفاف لها ، غير حياة القفر وحمل قنينات الماء ،ودفع الدواب والبهائم ، هاهي تراقب من زجاج الحافلة أشلاء قريتها تسلخ ذكريات البؤس ولو لبضعة أيام، ستخرج من هذه الأحقاف كالديدان ، ومن هذه القلعة المحصنة والظالم أهلها، إذ يتربصن بالفتيات الصغار لتزويجهن وسلبهن بحبوحة حياتهن كما يتربص الجزار بالدجاجات الهائمات للإجهاز عليهن وفصلهن . لفظتهن الحافلة بتؤدة في مخيم بالهرهورة ، وفي اليوم التالي عفرت يامنة جسدها بالرمال الذهبية

من أعلى رأسها إلى مخمص رجليها ، تفرك وتحصي حبات الرمل بين أناملها، تجمع صدفات ، تبني رفقة صديقاتها قصورا من رمال قد أحكمنها بعجين لازج والفرح ينط من أعينهن. هنا سأضع أرجوحة تخاطب يامنة صديقاتها. هنا، من هذه الشرفة سأنتظر قدوم أميري يأخذني معه، ترد عليها صديقتها:

- أنا سأشيد هنا دارا كبيرة للأطفال المتخلى عنهم ..أحلام تلوكها ألسنة الطفلات ،والرياح تذرو هذه الأحلام ويبللها الموج فتبلى . المهم هو أن يامنة منغمسة في اللعب تعيش اللحظة وتنفض غبار قريتها وشحها ، المهم أنها راكمت تجارب ومواقف، يمكنها بها أن تكون بها فقرات تنسجها على قرطاسها عند الموسم الدراسي عندما تسألهاالمعلمة ،اسردي وصف أجواء العطلة الصيفية .قضت يامنة أياما معدودات في البحر وأنشطة المخيم ،اسنفرت مشاعر الفرح والسرور ،اندمجت مع الأصدقاء، أقفلت راجعة إلى بلدتها تحمل ذكريات جميلة ،ستعقدها جواهر في عقد تعبيرها الكتابي فقط وستطوى هذه الصفحات وتحفظ في وريقات يكون مصيرها النار.

.

قرية خديجة .

ذهبت خديجة كعادتها لملء القنينات البلاستيكية ماء، فقريتها الصغيرة المختفية بين التضاريس الوعرة تعاني من انعدام الماء الشروب ، وعليها أن تقطع أربع ساعات ذهابا وإيابا للوصول إلى منبع الساقية، يرافقها حمارها وكلبها الوفي، عند وصولها داهمها بريق ضوء يشع داخل الماء أمام الساقية ، وقد اخترق عنان السماء وأنار المكان للحظة ، تملكها الذعر وتعالت ضربات قلبها ، فكرت في أن تعود إلى المنزل ، لكن حاجة والديها للماء ملحة، لكنها اقتربت تاركة حمارها يرعى وكلبها يتمطى ويبسط ذراعيه ، كلما اقتربت زاد النور والوهج ، دنت من صفحة الماء البيضاء الناصعة كحصان البراق الأبيض ، فتحولت صفحة الماء إلى بلور ناعم كمرآة ، أما الساقية فصارت بابا ذا مصراعين كبيرين ،كأنهما يعودان لقصر بديع ، فتح البابان فظهرت عربة ولا في الأحلام يجرها حصانان

مطهمان وعليها خادم وسيم، وجهه مشرق وفمه باسم ولباسه من حرير ، فتوقف عندها مشيرا إليها بتسلق درجات المركبة الملكية ، لبت النداء وهي مندهشة تفرك عينيها تتأكد من صحوها ، تركت حمارها وكلبها ودخلت البوابة العظيمة ،فاصطفق المصراعان وعادت الساقية والماء ،وفي هذه الأثناء أشرقت الشمس والحمار لازال ينتظر في مكانه، أما الكلب فملأ الفضاء نباحا مسترسلا ينادي صاحبته دون جدوى ، الوالدان صرعهما الخوف وذهب بصفاء وجهيهما وهما يبحثان عنها ويستقصيان الأخبار وهواتف النفس تهمس في الأذنين أنها خطفت وسيتم بيعها لتصبح خادمة ، استنفرت القرية رجالها ونساءها للبحث عن خديجة ، فاستمر البحث أسبوعين وعينا الوالدين قد ابيضتا حزنا وكمدا وقلباهما فارغان كأنه جب عميق لا قرار له، هي وحيدتهما وهي قرة العين ومعروفة بجمالها الطفولي ونشاطها .

أما خديجة فهي في بحبوحة النعيم والهناء تعيش في قصر هائل ،يملأه الذهب والأشياء الثمينة والغرف الكثيرة وسفر الطعام الشهي وتعزف الموسيقى الهادئة ،ووسطه نافورة ماء عذب كأنه سيف لامع ، أصبح لخديجة غرفة مستقلة وخادمة تلازمها ،ومعلمة تدرسها

العلوم واللغات، وأصبح لها إخوة فتيات يؤنسنها ،وحيوانات أليفة جميلة تتسلى باللعب معها. ويعود هذا القصر لأميرة جميلة تحب الفتيات الصغيرات المنكسرات اللواتي غادرن الدراسة وثم انتدابهن لجلب الماء وحلب الأبقار...وقد مرت الأميرة بظروفهن فنذرت نفسها أن يكون هذا القصر ملاذا لهن .هكذا ظلت خديجة تتعلم وتلعب إلى أن صارت أميرة جميلة .ذات ليلة تذكرت في نومها والديها البائسين والكوخ الذي يعيشان فيه والبؤس الذي يخيم على القرية ..ففزت من سريرها مذعورة وقلبها يكاد يجرح مكانه ..وصرخت صرخة انتبه لها كل ساكني القصر وأحاطوا بها جميعا وأطلعتهم على قصتها وأحوال قريتها وما يكابدونه من مشاق ..فأجهشت بالبكاء ..واسينها وعاهدتها الأميرة أن تساعد أهلها وقريتها وتخرجهم من بؤسهم ..ذات ليلة باردة والرياح تعوي والمداخن تنفث دخانها والأضواء الخافتة تترنح سمع قرع خفيف في باب الوالدين ، فهبا من نومهما ليفاجآ بفتاة شابة شقراء فاتنة الجمال ، وجيهة تسح آثار النعمة من جسدها الممشوق ..فدخلت فتعرفوا عليها وأخبرتهم القصة كاملة فشكروا الله على عنايته بالضعفاء ..فعوضتهم خديجة عن السنوات العجاف وغمستهم في نعمة كأنهما لم يتذوقا البؤس ولو للحظة ، بنت مدارس

للفتيات ودورا للطالبات ، وزودت قريتها بالماء والكهرباء ، وحفرت الآبار واستصلحت الأراضي ..ومدت القرية بالبنى التحتية والطرق ..فعاش أهل القرية في نعيم وغمرت الأفراح حياتهم فأطلقوا على قريتهم : قرية أمنا خديجة.

Bouhera

الطفلة الأركوزة.

_إنتظريني هنا ، سأعود حالا.

أشارت زوجة الأب_ بنبرة السخرية، وملامح وجهها الماكر_ إلى الطفلة اليتيمة ابنة زوجها .كانت الزوجة تتأهب لتنفيد خطتها التي أحكمت غزلها، مستغلة غياب الأب طوال النهار في العمل ، قالت للصغيرة:

_سآخدك إلى الحديقة لتلعبي .

اغتبطت الفتاة وعلقت :

_هل سآخد معي دميتي ؟

_طبعا ،قالتها بخبث ومكر وهي تحدث نفسها :

_ سترين سأتخلص منك ماعدت أطيق، أريد أبنة من بطني، أطعمها وتناديني ماما .

جلست الفتاة فوق ركام من حجارة تنتظر زوجة أبيها تؤنسها دميتها .

مرت دقائق عديدة والفتاة تنتظر، والزوجة لاذت بالفرار واختفت.

بدأ الخوف يدق أوتاده في جسد الفتاة، يبست في مكانها .لاتعرف ماذا تفعل ، حتى الدموع خانتها واستنكرت أفعال الزوجة التي كانت تعاملها بقسوة ،مستغلة غياب زوجها وتهددها إن اشتكت لأبيها فإنها ستقتلها.

المكان موحش ومهجور وهو مطرح للردم ، نعم صارت الطفلة ردما يطرح وتحولت إلى كركوز مثل الكركوز الذي تحمله ، بفعل أميرة الأراكيز التي ألبستها أحلى الثياب وجعلت لها ضفيرة ذهبية وقبعة مثيرة .فنقلتها إلى متجر للدمى عرضت خلف زجاج بلوري لامع شفاف والابتسامة تشق ثغرها، ووجنتاها صارتا كرزيتين بوجه مستدير كالشمس ..

وقع نظر طفلة غنية عليها فاشتراها والدها ،ركبت سيارة فارهة ، ارتبطت الفتاة بها تشاطرها سرير نومها ، فتحكي لها قصصا مصورة والطفلة الأركوزة تنظر والفرح ينط من عينيها.

وجدت الطفلة وهي أركوزة المعاملة الحسنة. تنظر إلى شاشة التلفاز، تذاكر الطفلة دروسها وتجعل من الأركوزة طرفا تتحاور معه، فتتلقى العلم والحكمة وهكذا مرت السنوات إلى أن كبرت الطفلة الغنية وأصبحت أميرة جميلة وذكية وموقع إعجاب الجميع ، جاءت أسرة غنية لخطبتها فدخلت الصالة حيث

الأركوزة مسجاة على الأريكة في غياب صاحبتها، تزين نفسها وتوضب حالتها ،والضيوف يتهامسون ويضمرون الشر للفتاة ووالديها ،كان الشاب الذي تقدم لخطبتها يطمع في الاستيلاء على أملاك الفتاة لتوسيع تجارة والده، وهو شاب مدمن مخدرات. سمعت الأركوزة ماتهامس به الشاب والوالدة. فاكفهر وجهها وانطفأت ابتسامتها، عندما عادت الفتاة إلى الأريكة بدأت الأركوزة تكزها بيديها، فذعرت ولم ترد أن تلفت الانتباه إليها حتى لايرمونها بالجنون، فاستأذنت وقد أخدت معها الأركوزة إلى غرفتها فعادت إلى شكلها الآدمي الفاتن ، فتاة تخلب العقل فأخبرتها بقصتها أولا ،ثم أفشت سر الشاب الماكر الذي تقدم لخطبتها. فاتخدت من اليتيمة أختا لها فعاشت في كنف أسرة عادلة إلى أن تزوجت.

Bouhera

أنفاس أمي.

افتر فم باسم وبرقت عيناه، وحلقت روحه فرحا وهو يشق عنان السماء بمنطاده الصغير الذي امتلأ بأنفاس حبه لأمه، وسماه أنفاس أمي، صنعه من بالونات حمراء أثناء احتفال أقيم في ملجأ للأطفال المتخلى عنهم وهو نزيل كباقي الأطفال الذين اختلفت أسنانهم وسحناتهم وألوانهم كاختلاف أشجار الأرض غير أنها تسقى بماء واحد ، ماء اليتم .باسم هو الاسم الذي سمي به في الميتم ولم يكن لوالداه رأي فيه، لأنهما تركاه رضيعا بعدما صرعا في غارة جوية، يبلغ الآن سبع سنوات، فبدأ يسأل عن أمه فتخبره المربية أنها في السماء.

- ولم تركتني ؟

-لم تتركك لقد ذهبت في رحلة طويلة، وهي الآن تراك.

- سأذهب عندها إلى السماء .

أغرورقت عينا المربية بدموع حارة ، احتقنت لها وجنتاها.

- سوف ترين سأذهب عندها ، سأصنع مركبة فضائية .

لقد اقتبس فكرة من فيلم كارتوني فراح يصنع منطادا من البالونات التي كان يجمعها، ينفخها وتتحول إلى لون أحمر يسري فيها نبض حبه لأمه ، كل بالون يحمل ذرات كثيرة من الشوق والحنين ، ترى البالون تحسبه قلبا يسح بالحب والحياة ، جمع البالونات ونسج في مابينها بخيط ناظم ، وهيأ لنفسه مقعدا خشبيا ، ذات صباح كانت فيه الريح تعوي وتهب ، فأخرج مركبته إلى فناء الميتم ، وسرعان ما علقت مع الرياح وهفا قلب باسم إلى أمه كما يهفو الحمل إلى حلمة أمه ، كأن هذه الريح مرسلة من السماء لتعرج به إلى مكان أمه ، المنطاد الصغير يشق السماء وويبتعد عن الأرض المدنسة برائحة الموت ، السماء طاهرة ، الهواء نقي ، انتشى بالأجواء تهدهده الريح في دوح لا مثيل له، وهو يتخيل أمه من يناغيه ويحركه ، هكذا استمرت رحلة باسم يلتقي بأسراب الطيور المهاجرة تحفزه ، أطلق ساقيه للريح إلى أن لاحت أشعة الشمس تدفئ جسده الغض وتغمز له وافتكرها أمه ،ظهرت على وجهها إشراقة جميلة وهي تفرد له ابتسامتها الذهبية وتشيعه بعينين يسح منهما وميض، وتبسط يديها ..في هذه اللحظة استفاق باسم على صوت مربيته العطوف تناديه

للتأهب للدراسة . في حصة للرسم الحر ، رسم باسم حلمه بتفاصيله على الورق، فأعجب الجميع برسمته وحكايته الجميلة،فنال جائزة احتفالا بعيد الأم.

Bouhera

جرادة مالحة.

كان يامكان في قديم الزمان ، كانت هناك قبيلة بعيدة، لا يمكن الوصول إليها إلا بالحيلة، كانت الشقة إليها تحلب الماء والدم من جوف قاصدها ،ينقضي النهار ويستسلم الليل والقبيلة لا تكاد تبين، والعجب العجاب أن هذه القبيلة تبدل الطريق إليها تصلها وأنت ترسم معالم طريقها في لوح ذاكرتك اليوم ، وغدا عندما تقفل راجعا ترجع من طريق أخرى مبهمة جديدة ،والسبب في هذا هو تلاعب الساحرة المدعوة عسيقة، كانت مالكة العباد والبلاد ، تلقي بعصاها السحرية فتتلقف العقول وتخضعها لنزواتها الشريرة. وكانت في هذه القبيلة أيضا امرأة صالحة فاتنة الجمال تدعى صالحة وهي جوادة تعطي بيدها ولسانها، تملك بستانا جميلا مزدانا بالخيرات فتعطي من غلاته للمسكين واليتيم ،فكان الجميع يدعونها بالصالحة وكانت عدوة لعسيقة الشريرة ،تضمر الشر لها ، وكانت تستنفر قواها السحرية وحيلها الماكرة للإطاحة بها وإبعادها من بحبوحة السعادة وكل محاولاتها تبوء بالفشل،

كان الله حاميها وحامي جنتها ،ومرت الأيام والحقد يكبر في قلب الساحرة كما يكبر شجر اللبلاب ويسيح ويزحف ،حتى غلف كوى الخير ونور الشمس، وما زاد عسيقة التياعا وسعارا هو عندما رزقت الصالحة ببنتين زهرتين فاتنتين تشبهان أمهما ، وهما توأمان يطيران العقل ويجنحانه فلا يعرف الراحة من جمالهما، كانت عسيقة عقيما كبئر مردومة حنطت شوكا ، حدث الولادة هذا جعلها تجمع شياطينها وتنادي عليهم أيكم ياتني بعرشها وهما ابنتيها فيصبح من المقربين ، جمعت كيدها وحشدت الشر الذي ذرئ في الأرض ،كانت ليلة سوداء تلفعت بها الساحرة وهي تصرخ في جندها :

_الليلة أريد أن يكون الجنان رمادا، حتى لاتجد البهيمة العجفاء ما تاكله ولا البطن الجائعة ،أريد أن تكون الصالحة مذلولة منكسرة،نفدت الشمطاء مكيدتها فأحرقت البستان الذي يطعم الإنسان والحيوان ، وخطفت بنتي صالحة ،وهربت تسير ثلاثة أيام فقصدت قبيلة الصيادة والصالحة قد ابيضت عيناها حزنا فرفعت أكفها للسماء تشكو أمرها، وصلت عسيقة قبيلة الصيادة فكانت نذير شؤم عليهم عند قدومها الواد الذي يجود بالسمك الوفير تغير حاله ، السمك الذي يصطاده أهلها لايلبث أن تفوح منه رائحة نتنة وهو في أوج طراوته

فشكا الصيادة أمرهم لكبير القبيلة فأشار إليهم بأن هناك روح شريرة حلت بالقبيلة فأخبره الصيادة بالعجوز الشمطاء التي نزلت منذ ثلاثة أيام وهو الوقت الذي حصل فيه ما حصل، فطردوها فيممت قبيلة القاضي الصالح أبو مفتاح المعروف بعدله وحكمته، فلما وصلت القبيلة اندلعت الكراهية بين الناس وحل وباء الخصومات بعدما كانت القبيلة ترفل بالاستقرار يحكمها قاض عادل ، فكشف أمرها وجثت على ركبتيها متضرعة وبأنها مسكينة ،فأذن لها أن تبيت ليلة وعند انجياب الصبح تغادر، فكان عند القاضي طائر اسمه زرزور يملكه كما يملك سليمان الهدهد ، فأرسله يستقصي أخبارها ، فجاء سيده بنبأ عظيم قصتها كاملة ، فخيرها أن يمسخها إما ذبابة أو ضفدعة أو جرادة ، فاختارت الجرادة ونفد عليها الحكم ، فطارت من الشرفة دون أثر فحشدت الجراد للاستيلاء على بساتين قبيلة الصالحة ، وعند الإشراف على القبيلة بأعداد غفيرة انقض الناس على الجراد يأكلونه ويستصيغونه انتشاء وطربا إلى أن بقيت الجرادة الممسوخة عسيقة وكانت مالحة يلوكها الجميع ويرمونها لملوحتها

قصة براءتي العذراء .

طبعت الأم قبلة حارة على وجنة إبنها سلام وهي تشيعه قاصدا مدرسته، ركزت فيها مشاعرها المتوهجة، وقد هيأته في أحسن هيئة وتوسمت فيه شخصية مميزة مستقبلا . وقبل أن يغادر أمطرته بدعواتها السخية سخاء الماء المتدفق في الساقية ، وختمت الدعاء بمصفوفة من التحذيرات والتنبيهات :
- احذر يابني الغرباء ، اقصد في مشيك ، لا تثق بأحد ، لا ولا ولا أحست أن قلبها قد اجتث من مكانه وحلق بعيدا ، وهو يقبلها وهي تضمه وتشمه وتهدهده بعينيها إلى أن بلغ الشوق مداه تركته وأحست بنفسها كأنها قد هوت من جبل شاهق والسفح لا قرار له، سمعت باب المنزل يصطفق بمهل وأقفلت المسكينة إلى مطبخها الذي يعد محرابها اليومي وقد تلاشت اللحظات والمواقف التي اكتنفت لحظة مغادرة إبنها سلام المنزل، لتبدأ بنسج لفيف يومها . ضاقت دروب الحي ، الأبواب والنوافذ موصدة، رزم من الأقفال والسلاسل تغلغل المتاجر، حارس السيارات لاذ إلى علبته الليلية كأنها كبسولة لا تعرف الليل من النهار، لازالت أضواء

الأعمدة تغمز كأن لها حاجبان إلى أن تسلم النهار نوبته من الليل ، دقت الساعة السادسة صباحا، وبدأ سلام يدق بحدائه ويلثم به أديم الأرض ، براءته نائمة يحث الخطى ويترنم بأناشيده كالطائر يتلو أوراده، لا زال غضا تشي ملامحه بغد مشرق تحتويه عشر سنوات في حضنها، كأنها عشر شموس تتأبى على المغيب.

_ يا سلام عفوا ستصفعك كلماتي وتنزل بك أسياط كلماتي ، عفوا إن استدرجتك بكلماتي العذبة ولكنها تبدي في ظاهرها حنانا لكنها مبطنة بما لا تستطيع أن تحمله الجبال والأرض والسموات إنها الأمانة ،أنت أمانتنا جميعا. وددت لو أطرز لك في هذه القصة كلمات عن غد مشرق فأسلمك إلى بر الأمان، لكن كلماتي كانت قاسية معك فما ترك لي جلادك الذي هوى على كلماتي ففقأها وبقرها بسكينه الحاد، عفوا لقد باغتك كما باغتني ، خطفك في المنعطف وخطفت معها آمالي وآمال أمك، إنها الآن تعد لك الطعام الذي تحبه ،إنها قد انصرفت تفرك ملابسك بحنان وقد تهدلت.إنها تطوي ملابسك وترتبها، رأيتها وهي تتأمل رسمتك وهي تنحني لتكنس الأرض فالتقطت رسمتك التي رسمت فيها شمسك وسماءك وطيورك وشاطئك وطيورك .... يلتقي سلام برجل يظهر عليه الطهر والحياء لكنه يخفي مشاعر

قذرة ، يستل من جحر فمه السم، كلمات رقيقة يذروها عليه كما تذرو ندف الثلج وهي تفرش الأرض، أنت ولد مطيع ومجتهد ، هيا معي لآخذك إلى المدرسة .استسلم سلام وانقاد له واطمأن إليه لأنه مألوف وهو ابن جيرانهم ، الذي لا يترك صلاة في المسجد ، لقد هيأ طعمه بإحكام ، وقد انتظره على مهل ليستدرجه إلى خلاء شاحب موحش فطرحه أرضا ذلك الشاب العشريني ليلوث الطهر ويهتك صفحة بيضاء ، لقد أطعمه شوكولاتة بعدها نكل به ، وجعل نزواته تذرع في جسده كما تذرع الآلة الحربية المدرعة الحقول النضرة. لم نكن مع أم سلام عندما شيعته أول مرة بنظراتها الرحيمة ولقفته حلمة ثديها المدرار، لم نكن مع أم سلام عشر سنوات وهي تستقطر الحب وهي تحترق بمشاعرها، لم نجثو معها أمام السرير وهي تلهج بالدعاء بالشفاء له ،لم نكن مع أم سلام وهي ترعاه وتحمله على ظهرها وهي تحممه وتجرب الماء الساخن وتتفقده بأناملها لا يهمها إن احترقت ، وها نحن معها نشهد على جبل انهد وانهدت كلماتنا وفجعنا .

اختفى سلام عن الأنظار اليوم كاملا رغم استقصاء الأخبار ، تلفعت الأم بإزارها وامتقع وجهها وشاخت كأنما مرت عليها سنون، لقد لطخ الحبر الورقة البيضاء الطاهرة وعثا فيها مفسدا، وهاهو يبحث مع أمه عن

سلام ويظهر المساندة ، و يشير عليهم بأمكنة معينة ،إلى أن تناهى خبر رؤية جثته أمام حاويات الأزبال ، فخر جسد أمه صعقا .اختفى سلام وسقط السلام عنه ، كما تسقط أوراق الخريف كان سالما بين أحضان أمه،.خرج المجرم يبحث مع الصديق والأمين وشيع معهم المجرم سلام إلى حيث سترقد جثته بسلام بعيد عن أوضار الحياة ، مقدما أحر التعازي ،وأخد يواري عنه الثرى ،بعدما دنس براءته العذراء .

Bouhera

غيرة.
تتأهب أم مهى للذهاب إلى عملها، كعادتها استيقظت في وقتها المحدد السادسة صباحا ، والصباح قد كشف عن ابتسامة من ثغره الذهبي ، أعدت سفرة الطعام بتؤدة ، وهندست لكل صغيرة وكبيرة ، كما أعدت مايحتاجه أطفالها الثلاثة من لمجات يستعينون بها في هزم جوعهم في حصة الاستراحة ، الأطفال لازالوا في غرف نومهم يغطون في نوم عسلي، والأم نشيطة تتحرك على رؤوس أصابعها تخشى أن توقظهم لأن الوقت لازال مبكرا، بعدما أنهت الأم ترتيباتها نادت برفق وصوت رخيم على ابنتها مهى صغيرة أخويها، لكنها أكثرهم رجاحة عقل، وأفضلهم في تدبير الأمور ،وضبط النصائح والتصرف باتزان :
_ مهى...مهى....هيا يا ابنتي قد حان وقت انصرافي للعمل لاتنسي أن توقظي أخويك ، واهتمي بسلامتهما واحكمي إغلاق الباب .
_بكل سرور ماما الحبيبة صباحك ورد وياسمين.
نفضت نثرات النوم عن وجهها، رتبت سريرها واستقبلت يومها بنشاط. توجه الوالدان لعملهما وتقلدت مهى مفاتيح البيت ،إنها كغزال المهى خفة ورشاقة.

جسمها مطواع ، عيناها تبرقان بالأمل وتومضان بالحياة، دقت الساعة السابعة ، فأيقظت مهى ذات العشر سنوات أخويها زياد ونائل اللذين يكبرانها بسنة وسنتين، أحدثا جلبة واضطرابا عند قيامهما دون لملمة فراشهما، وطفقا يسخران من أختهما مهى ويقذفانها بكلمات تشي بالغيرة : _ ماما الصغيرة تنوب عن ماما الكبيرة .نحن نكبرك وعندنا القوة لحمايتك لكن أمي دائما تفضلك عنا ،هذا ليس عدلا . _صحيح يا أخي نائل هل بإمكانها أن تقودنا إلى المدرسة وتحمينا من الكلاب٩ الضالة. انفجرا ضحكا ،بينما مهى اعتصمت بالصمت وندت عن ابتسامة هتكت بها ظلمة كلامهما، سخنت الشاي لهما وأشارت إليهما بأن يسرعا حتى لايداهمهما الوقت، وأن يكفا عن الثرثرة والشجار ،لكنهما عنيدان ويقولان لها إذا أخبرت أمنا عن طيشنا سنعاقب لأنها لاتسأم من ضربنا وتعنيفنا وتقارننا بك .انصرفت مهى تجمع لوازمها وواجباتها وبينما طفقت تجمع خصلات شعرها الذهبي سمعت صراخا وأنينا حادا كما يجرح الموسيقي كمانه بسيفه الحاد. هرعت مهى لتجد أخاها زياد يمسك بطنه ويحس بمغص شديد، لأنه تعرض لسوط البرد، وشرع أخوه نائل في الضحك على حركاته ، بينما

اتجهت مهى إلى المطبخ وأعدت ماء دافئا معشوشبا كان كفيلا بإسكات الألم .

فهم الأخوان في الأخير معنى المسؤولية وبأنهما يظلمان مهى والأم، بل مازادهما اقتناعا أن أمهم أحضرت لهم هدايا متساوية وشكرتهم على انضباطهم وقالت مخاطبة الفتى زياد .غدا الأحد أنت من يخرج معنا في نزهة لحمايتنا لأن أباك مشغول في عمله ،فبدأ يفهم الأخوان دور كل واحد منهم وعاشوا جميعهم في سلام ومحبة.

Bouhera

قصة ربيع والساقية.

يتلقف الطفل ربيع همس الطيورالحالمة،ويشم عرف الأزهار المخدر المنبعث من أطباق الطبيعة ،كانت الشمس تنضج هذه الأطباق ،وقد نسمتها بأعشاب جادت بها الأحواض الصغيرة،الفصل ربيع والطفل ربيع تسح عيناه أملا، وتهتز مشاعره طربا للمشاركة في الاستعراض الذي أعده فصل الربيع،لفظ أعباء الدراسة ،طرح ما علق بأسماعه من صراخ أقرانه في الحي،ولبى نداء الطبيعة ،واشتهى أن يكون كهبة نسيم يحتضن كل الأماكن،طفق يخترق بخطاه الوئيدة المسالك الملتوية المؤدية إلى باحة منتزه عين أغبال،الفرح ينط من جوارحه،كل ركن من أركان الطبيعة خيل إليه كمحراب تتعبد فيه الأرواح النقية، ارتقت روحه وارتمى فوق بساط أخضر يتملى ،لاحت له الحقول المزدانة بالسنابل كالجنود المتأهبة ،أسره منظر الأبقار تعالج العشب وتدغدغه بلسانها بتؤدة كالأم وهي تناغي صغيرها وتهدهده، الشياه هائمة حالمة تترنح معربدة،ازدردت عيناه كل المعروضات المغرية، وامتلأت بالضيعات كالمراكب ترسو فوق البحر.ربيع

طفل هادئ سلوكه نحو البيئة راق،يتمنى لوكان له منزل في حمأة هذا الجمال الأخاد،بدأ يحملق بعينيه يمينا ويسارا وهو يشق الطريق الرئيسية المفضية للساقية الأم، فصاح ملتاعا كمن تخبطه الشيطان من المس ،ونم عن نأمة فيها امتعاض وحسرة وبدأ يخاطب نفسه:

لقد اغتيلت شقائق النعمان واجتثت الأشجار واتشحت الأرض بوشاح اسمنتي،قطع أرض مجزأة مشطرة،داهمته لوحة حديدية فارعة الطول كتب عليها :تجزئة سكنية ،ذهل ربيع،لقد امتصت الآلات شرايين الأرض ،وتيتمت الشياه من أمها الحنون ،لم يتحمل فسقط مغشيا عليه،فصار مسجى على الأرض كجثة هامدة،أرادت آلة إعداد الخليط الاسمنتي ابتلاعه وسحقه كما سحقت الحياة الإيكولوجية وأوقفت نبض الأرض،لم يمكث ربيع في وضعه طويلا حتى هبت نسمة هواء ناعمة خفيفة سرت ودبت في أوصاله فبدأ يستعيد وعيه ونشاطه،فبدأ يسمع :،

_قم ياربيع هيا إنك في منطقة غير آمنة،تصلبت الكلمات في شفتيه ولم ينبت ببنت شفة ثم أردفت قائلة::.

، أنا هبة النسيم بلسم الروح ،أنا ربان هذه المراكب الخضراء،لكنني لاأراك ،علق ربيع.

_بالطبع لن تراني لكنك تراني عندما ترى الحياة تتحرك فأنا جزء من كل شيء،اصعد على ظهري

سنقوم بجولة فوق مملكة الطبيعة،أعجب ربيع بالفكرة فأحس أنه يحلق في الهواء دون قيود ،رأى الحياة تدب على مناطق دون أخرى ،ليتألم لسلوك الإنسان نحو البيئة،فجأة تناهى إلى سمعه أنين ساقية نحيبها مزق قلبه،فحط قربا منها مخاطبا: _مايبكيك أيتها الأميرة ،تفرست الساقية في وجه ربيع وبدأت الفرحة تغلف ثناياها. _أحقا أنا أميرة ؟ أردف جازما: بل أنت ست الأميرات،فأنت أم الجميع أرضعه بثدييك المدرار الحقول والمواشي وامتصتك الجذور،وبك اتقد المكان وتوهج،فشكرا لك ،فنا زلت حسناء تجودين بمائك العذب الزلال،،لملمت الساقية دموعها وأدركت أن هناك من يقدر قيمتها النفيسة،لكنها اتجهت بطرفها تنعي جنباتها الآسنة،القاتلة لنزوع الذوق والطبع،لكن ربيع هم بتنظيف حواشي الساقية،ساعدته هبة النسيم وفي لمح البصر أصبح المكان نضرا جميلا ،فأسرعت أسراب الإوز تلثم الساقية ،تنفست الساقية واندلق ماؤها وغمر المراتع،فشكرت الساقية ربيع وأهدته قارورة عطر مستخلصة من أريج الطبيعة،وسلمته زجاجة شفافة يتوهج منها ماء مشع وأقفل إلى بيته منتشيا بالسعادة فوعد نفسه أن يكون قلبه كالقارورة يفوح ودا نحو بيئته،وتكون أفعاله وسلوكاته حميدة تتدفق كالساقية.

مملكة السندباد الرقمي

وصل السندباد البحري مع العصفورة ياسمينة إلى تطبيق الألعاب بعد رحلة طويلة وشاقة اجتازا فيها الأسطر الورقية كالأمواج المتدبدبة بعد أن وجدا في طريقهما قصصا محروقة متناثرة ومتطايرة شذر مذر ، والتقيا في طريقهما علي بابا الشيخ بلحيته البيضاء الطويلة مستندا على جذع شجرة وقد غاص في نوم عميق، عضلات صدره تهتز وأنفه ينفخ في شخير كأنه سبات ، حاولا إيقاظه بصعوبة بعد أن همس السندباد في أذنه اليمنى .واستقصيا منه خبر هلاك علاء الدين وشخصية ألدن و وقصة اندحار شخصيات الكرتون كلها وقصصهم ، ليخبرهما بأن هناك سندبادا رقميا مع فأرة ويقصد فأرة الحاسوب مرت مع جيش من الأرقام والأدوات الآلية وبسرعة البرق أتت على كل الشخصيات الكرتونية ولم ينج غيره.

._وأين مضيا متسائلا السندباد البحري .أجابه علي بابا متثائبا: لقد ذهبوا إلى واد سمعتهم يقولون هيا إلى قلعة القيصر غوغل هناك الرفاهية والتكنولوجيا الحديثة بدل هذه الشخصيات الورقية التافهة التي تخدر عقل الأطفال. شاهدت العصفورة ياسمينة وميضا ينبعث

من جزيرة فقالت للسندباد مندهشة بما رأته من أضواء ساطعة فاقتفت الأثر، وواصل السندباد طريقه والإعياء قد بدا عليه إلى أن أغمي عليه من التعب ، حاولت ياسمينة إيقاظه من إغفاءته دون جدوى ..لتمر عربة جميلة تابعة للملك غوكل ومملكته يسوقها روبوت مبرمج ويحمل معه تطبيقات فيرى السندباد طريحا ليأخذوه معهم إلى قلعة غوغل فاستيقظ فوجد نفسه في القلعة فبدأ السندباد الرقمي يستفسره مندهشا من شكله إنهما توأمان أكرمهما الملك غوغل ووزيراه السندباد والفأرة وعرفاهما على فضاءات المملكة فشاهدا ردهات كثيرة وأروقة وجلبة واناقة وتطبيقات مسنفرة وشاشة عرض كبيرة بها حروف إلكترونية غليظة تؤمها مرقنة خشنة .دهش السندباد البحري مما رأى لم يسبق أن رأى هذه السرعة الخارقة في الوصول إلى ما تريد يكفي أن تضغط هنا وترسم مركبا بالشكل الذي تريده والحجم ، وتتلاعب بالأمواج وتنتقل عبر كوكل من جزيرة إلى جزيرة دون عناء وسرعة الأضواء ، ألعاب إلكترونية حديدية فيها صراعات وعنف ، ضجيج وصرير يصم الآذان ، بهرجة ألوان خاطفة من برك ، نصوص رقمية منمقة وتذكر الرسائل التي كان يراها في البحر في جوف القنينات تستغرق وقتا طويلا للوصول إلى وجهتها، أما العصفورة ياسمينة فأخذتها الفأرة إلى

مخدعها الوثير وغرفتها التي تتحكم من خلالها في إدارة هذه المملكة .يكفي أن أضغط هنا لأعود بكم جميعا إلى عهود قديمة ..استغربت ياسمينة عندما عرضت عليها شريطا ظهرت فيه ياسمينة والسندباد البحري وهما في صراع مع الموج والمركب يتأرجح والعاصفة الهوجاء تحيق بهما لتغير الفأرة المشهد بسرعة مغيرة مجرى الأحداث إلى الأفضل ..استطاعت بذلك ياسمينة أن تجد أصدقاء من مختلف الأشكال والألوان فهامت هناك وتاهت في مرج الألوان والأحجام والأرقام والحروف ، أما السندباد البحري فخلع عمامته وكسوته وارتدى ملابس تليق بالعصر الجديد فأصبح سندبادا فضائيا يشق الأمكنة وينتقل من فضاء أزرق إلى آخر أزرق فنسي بذلك أصله ..أما علي بابا فلحق بهما وقد حلق لحيته فأصبح ملفا هاما يحمل المحتويات ويحافظ عليها فحكم السندبادان البحري والرقمي مملكة فضاء الأطفال ليومنا هذا.

Bouhera

ظهر جدتي.

الحمى تعبث بجسدي وتعصره كأفعى تتلوى على فريستها تشلها عن الحركة، رأسي محموم في مساء صيفي قائظ ، وجدتي في حالة طوارئ تتلو أوراد وأدعية اللطف والخط مفتوح بين سرير نومي والمطبخ ، تأتي كالكمادات وقطع الثلج لإطفاء لهيب عروقي الهائجة ، قطع الحامض أقراص ذهبية تلثم مواقع من رأسي تمتص الحرارة ، وأشعر بالانتعاش ، لكن عندما كانت تضع راحتها الناعمة لتتحسس الحرارة وتنظر إلي بنظرات الرحمة تنحسر الحمى وتجمع جنودها قائلة هلموا للخروج ، لا مكان لكم هنا بعد الآن ، يالروعة الأعشاب الباردة وخليط الحناء فوق رأسي أتابع بعينين زائغتين سيول مياه الأعشاب الباردة تذرع خدي ، عند تجاوز مرحلة الخطر ، حانت فترة النقاهة تحملني على ظهرها وأنا بعمر خمس سنوات تشد وثاقي وتنصرف إلى أنشطتها المعتادة ، وأنا أنحني عندما تنحني ، وأرفع عندما ترفع ، وأقعى عندما تقعى ، ويدها تربت خاصرتي ، كانت رجلاي التي أمشي بهما، تشيعني بعينين كلهما دفء وحدب، كانت كالغدير المنعش الذي

يروض سوط الشمس الجلاد، هكذا كنت أهدهد على أرجوحة ظهرها وأنا منتشي بحركاتها إلى أن يهزمني النوم ، والليل قد بدأ يحط رحاله ويضرب خيامه ، بينما جدتي ضربت خيمة كبيرة من أردية بسطتها على حبال التصبين وشدتها بمكابس، وفرشت الأرض بعد أن رشتها بالماء وطرحتني أرضا ليطيب نومي ، وتعطيني بإزارها الشفاف الذي أشم فيه رائحتها الطيبة ، النسيم الليلي رائع مكيف هوائي طبيعي لا يعلو عليه ، أغط في نوم وأنا أشعر بها تغطيني عندما ينحسر الإزار ، ثم معززة الإزار بغطاء غليظ عندما يبرد تيار الهواء .وأستفيق على أشعة شمس تنهش أصابع رجلي المتشردتين لأجد جدتي مهرولة قائلة :

_قم ياولدي تابع نومك داخلا إن الشمس ستدرك جسدك الغض .أحس بها تتفقد الحرارة وأنا أجر أشلاء جسدي داخلا وهي تلملم الفراش ، أجتاز المطبخ إلى الغرفة ، رائحة قهوة معشوشبة تروض أحاسيسك وتداعب الأنف ، قهوة معتقة تسافر بك إلى جزر بعيدة ، أرتمي على سرير أحلم بكوب القهوة يبل ريقي وينعش عروقي ألوكه مع خبز جدتي الساخن ألوكه فيصير مسحوقا لذيذا مع الزبدة والمربى .

إياك والخروج يا بني إلى الشارع ، الشمس غاضبة ولا أحد يجرؤ على الخروج .الشمس خارجا حولت الميادين إلى صفائح حارة ، تشم رائحة الشي في كل شيء ، الصناديل تتلوى ، تتخذ الأسقف سواء القصيرة أو العريضة مخبأ ، حتى البيوت لم تسلم من القيظ ، لكن جدتي كانت درعا تقينا هذه سموم الشموس لم تكن شمس واحدة ، بل تحالف شموس .

غرفة السطح تحمل الصندوق الخشبي لجدتي يحمل أغراضها ومشطها وتسبيحها وفرو الخروف ، كانت غرفتها باردة ، أرتمي فيها وألتمس البرودة إلى أن تستسلم الشمس وأخرج حاملا كرتي وجدتي تستبقيني لشرب شاي منعنع رائحته تهزم أي شيء ، أستسلم وأعب كوب الشاي ، وأصوات الأطفال في الخارج تتهادى إلي، أطلق رجلاي للريح ، نازلا أنط الدرجات المصطبة الواحدة هي أربع بالنسبة ألي أختصرها ، وأنا قد تركت جدتي تهيء حساء حريرة بالحمص شهية

اليوم أفتقد إلى جدتي وقهوة جدتي وظهر جدتي ، كلما زرت أركان المنزل تحدثني بالذكريات الجميلة .